

التهبيج والتخويف

تطور وسائل الإعلام جعل منها قوة يمكن أن تهيج الناس وتحشدهم، وأن تخوفهم وتدفعهم للحرب والقتال، ثم يكتشف أن كل ما قيل كان مبالغاً وصوراً تمّ (فبركتها) والهدف الدفع بالصراع في اتجاه معين.

د. نعوم تشومسكي^(١) رجل لا يخاف ولا يهاب ولا ينافق، وممن يسمي الأشياء باسمها، يذكر أنه كان يطوف في الولايات المتحدة الأمريكية - قبل حرب الخليج الثانية - فيرى تعبئة وتهيجاً لا مثيل لها، ويقول: إن أعظم وأقوى دولة في العالم كانت تخشى من أن تأتي العراق، فتقتل الناس جميعاً، لقد صاروا مذعورين حقاً، أراهم يرتجفون مرعوبين مرهقين؛ لأن (صدام حسين) سيأتي ويقضي عليهم، كانوا في خوف حقيقي، بل في فزع شديد.

لقد كان القائد العسكري (شوارتكوف) يدلي بتصريحات عن قلة عدد قواتنا، لكننا سنحارب، سنقاتل على الرغم من أن العراق يملك أسلحة فعالة فتاكة، لم يحلم بها أحد من قبل.

ومرة يكون (الإيحاء): لا، لا ليس هناك حرب، فلما بدأ الهجوم البري كان الخراب الكبير، وبعد أسبوعين من قصف

(١) تواريخ الانشقاق، ترجمة: محمد نجار، ص (٢١٣)، طبعة ١٩٩٧م.

لذلك العدو (المخيف ورابع جيش في العالم) انتهى، وتشتت،
وضاع بسرعة.

إن الإدارة الأمريكية تعتقد أن من يريد الحرب فعليه أن
يكبر (العدو) كثيراً، كي يخيف الناس، بحيث يؤثر ذلك على نوع
(التفكير) ويكون بسرعة، وكذلك القتال والانتهاء منه بسرعة.
تخويف وتكبير لحجم العدو، وإنزال ضربة قاصمة، ثم
الحديث عن النصر السريع، بواسطة التخويف والإرعاب... أ.هـ.
والسؤال: أهذه الدولة التي تقود العالم وبهذه العقلية؟ إذن
ما مات هتلر!

لقد جمعت كثيراً من النصوص، ونشرتها تحت عنوان:
(أمريكا والعراق عشق دائم أم طلاق بائن)^(١).

أصعب الصراعات في العالم

آي في شلايم يهودي^(٢) من مواليد (بغداد) عام ١٩٤٥م،
دكتور في العلاقات الدولية يحمل الجنسيتين البريطانية
والإسرائيلية، يجيد اللغة العربية والإنجليزية والعبرية، يُعدّ من

(١) الكتاب نشر عام ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، مكتبة العبيكان بالرياض.

(٢) التعريف بالكتاب وصاحبه قام به الكاتب حمد العيسى نشر المقالة في

صحيفة الوطن السعودية ١٦/٧/١٤٢١هـ الموافق ٢٨/٦/٢٠١٠م.

المؤرخين الجدد، الذين لا يلتزمون الرواية الصهيونية الرسمية في النزاع العربي الإسرائيلي.

آخر كتبه: (إسرائيل وفلسطين: إعادة تقييمات، مراجعات، تنفيذات) صدر عام ٢٠٠٩م في بريطانيا عن دار (فيرسو للنشر) يصف الكاتب (الصراع) الإسرائيلي الفلسطيني بأنه من أصعب (الصراعات السياسية) منذ بدء الخليقة بسبب (مرارته وطولته وعنفه) ويبدو، وكأنه لا يوجد مجال (مطلقاً) للتسوية) يرضى بها الطرفان.

الكتاب مجموعة مقالات وكتابات سياسية في القضية الفلسطينية خلال ربع قرن يمتد (زمنياً) ما بين حرب ١٩٤٨م حتى حرب غزة الأخيرة المتوحشة التي شنتها إسرائيل على غزة عام ٢٠٠٨م.

يعتقد الكاتب أن الماضي هو أفضل مرشد لفهم الحاضر، وتوقع المستقبل، وعلينا أن ندرك أنه عندما نملك (فهماً جيداً) للتاريخ (المعقد والمتوحش لهذا الصراع) نستطيع أن نستوعبه، ثم يمكن حله، وبموازاة الصراع السياسي الإسرائيلي الفلسطيني، يوجد (صراع) موازٍ بين (روايتين) مختلفتين للأحداث، وعندما نقرأ (بحياد كامل) الروايتين نستطيع تكوين صورة حقيقية عن خصوصية هذا (الصراع) الوجودي التراجمي واحتمالات حله.

ثم يعرف الكاتب بنفسه، فيقول: أنتمي إلى مجموعة صغيرة من العلماء الذين يقبون أحياناً بالمؤرخين المراجعين الإسرائيليين، وأحياناً نوصف بالمؤرخين الجدد، لقبونا بذلك لأننا (تحدينا) الرواية الصهيونية السائدة عن أسباب ومسار الصراع العربي الإسرائيلي، وبالتحديد أكبر لقد تحدينا الخرافات الكثيرة التي أحاطت بولادة إسرائيل، والحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م... .. لقد تمسكنا بقوة باعتقادنا أن إسرائيل تتحمل المسؤولية الكبرى حول استمرار العنف وتصاعده، كثير من القضايا المختلفة سأناقشها في فصول (هذا الكتاب).

والمفيد للقارئ أن يعرف أن معظم ما سيأتي يتعلق بثلاث قضايا رئيسة:

١- ولادة إسرائيل عام ١٩٤٨م.

٢- حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧م.

٣- اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣م.

وكل قضية من هذه القضايا هي موضوع نقاش ساخن، بل مشتعل بين المفكرين من كلا الطرفين.

بالنسبة إلى النقاش حول ١٩٤٨م أعتقد (بيقين تام وبكل صراحة) أن تكوين (إسرائيل) تخلله ظلم كبير وفظيع

للفلسطينيين، ولكن مع هذا أنا (أقبل) تمامًا شرعية دولة إسرائيل، ضمن حدود ما قبل حرب ١٩٦٧م.

خصوصي يدعون أن هاتين (الجملتين) متناقضتان، فإن دولة أقيمت على الظلم لا يمكن أن تكون (شرعية)، ولكن ردي: نتيجة لتكوين إسرائيل، فقد تعرض الفلسطينيون للشحات ونزع ملكية أراضيهم التي شملت أكثر من (٧٠٠) ألف فلسطيني، وهو ما يعادل نصف السكان العرب الأصليين الذين أصبحوا لاجئين، كما تم مسح اسم فلسطين من الخارطة تمامًا؛ لذا فإن هذه النتيجة لتكوين إسرائيل قد أوجدت ليس مجرد طائفة وطنية ضخمة وكبيرة وعميقة أو كارثة، بل صدمة (النكبة) بالعربية... أ.هـ.

إن الصراع العربي الإسرائيلي فريد في التاريخ ولا مثيل له، شعب يقيم على أرضه منذ قرون، تقرر هيئة دولية نزعه وأخذ أرضه ومنحها إلى شعب آخر يقيم في دول عدة بحجة أن هذه أرض أجداده، ثم يقوم هذا الشعب بحملة إرهاب وقتل وطرده لم يسبق لها مثيل، وتتجدد الحرب ليس في فلسطين بل ضد الدول العربية المجاورة، وتتخذ مئات القرارات الدولية تتجاهلها إسرائيل كلها، بل لا يسمح بمجرد اللوم..

العراق رفض (١٧) قراراً للأمم المتحدة، فوضع تحت البند السابع، وإسرائيل منذ قامت وإلى اليوم وهي ترفض القرارات كافة.. (أدوارد جالينانو) يسجل ظاهرة الخلل الكبرى في العالم، فيقول: لقد تجاهل العراق - على عهد صدام - (١٧) قراراً من قرارات هيئة الأمم، وتجاهلت إسرائيل (٦٤) قراراً، ثم تساءل: هل يقصف (بوش) حليفه الإسرائيلي؟

إن إسرائيل أكبر (مدلل) في العالم، والفيتو الأمريكي لم يعد يستعمل إلا لحماية إسرائيل من مجرد (اللوم)..

إنها الدولة الوحيدة التي تملك سلاحاً نووياً في المنطقة، ومع ذلك فالبحث والتهديد يشمل كل من لديه (نية) مجرد النية، لصنع سلاح نووي، فلماذا لا تتفرن إسرائيل، ولماذا لا تشن الحروب؟ ومن أمن العقاب أساء الأدب!

ومع ذلك يشكر المؤرخ (آيفي شلايم) المولود ببغداد على شجاعته وصراحته، خصوصاً أن الذين اختشوا ماتوا وشبعوا موتاً!

منطلقات الحضارة وصراعاتها

الحضارات تختلف، لكنها قد تشترك في منطلقات عامة،

مثل^(١):

(١) القواعد الشرعية لإدارة الصراع ص (١٥) مرجع سابق.

- ١ - المنطلق العقدي، فخلف كل حضارة عقيدة.
- ٢ - البناء الاجتماعي والثقافي.
- ٣ - أسباب مادية لصياغة الحياة وتيسير العيش.
- ٤ - أنانية المصالح.
- ٥ - قوة أمنية عسكرية.

وكل حضارة تسعى لحفظ نفسها من العدوان، وبسط نفوذها حسب قوتها وطاقاتها..

أما المحركات للامتدادات والتوسع فتختلف من حضارة لأخرى، لكن دافع العقيدة وقوة المصالح وأنانيتها هي الأبرز بين المحركات والقوة العسكرية أو الذراع العسكرية هي المعول عليه في التوسع والصراع، وتقوم هذه الذراع بالدفع عن الحضارة وأهلها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

وقد كانت الحضارات والدول والأمم تعنى بنظامها الاجتماعي وثقافتها الخاصة، وقديماً كان يمكن غلق الحدود؛ منعاً للتأثيرات، ولكن التوسع في ميداني (المواصلات والاتصالات) هدم الحدود والسدود، لقد سجلت اليابان أكبر غلق مدة جاوزت قرنين ونصفاً منغلقة على نفسها، حتى جاءت القوى الغربية وهددتها بالاجتياح أو فتح الحدود.. لكن هذا الانغلاق أو الإغلاق صار اليوم في خبر كان كما يقال، فالانفتاح

صار واقعاً، ما أدى إلى (اختراق) الخصوصيات الحضارية،
والدفع للكل في اتجاه العولمة والتحديث.

إن كل حضارة ومثلها ثقافتها تحاول الحفاظ على هويتها
وعدم الذوبان أو الإضعاف تحارب، والجديد أن هذا الميدان لا
تنشط فيه القوى العسكرية بل الإعلام بكل مكوناته، هذا النوع
من (الصراع) ناعم وخفي أحياناً وليس كالصراع (العقدي
والمصلحي) فهذا من النوع الخشن، وقد تراق فيه الدماء، أو
يضرّب الحصار، حتى تصير الأمة أو الشعب في عداد المنبوذين
الأشرار.

صاموئيل هانتجتون - صاحب صدام الحضارات -
يرى^(١): أن صدام الحضارات يحدث على مستويين: فعلى
المستوى (الجزئي) تتصارع المجموعات (المتجاورة) على
امتداد (خطوط التقسيم) بين الحضارات (بصورة عنيفة)
عادة، للسيطرة على أراضي بعضها بعضاً، وعلى المستوى
(الكلي) تتنافس دولة تنتمي إلى حضارات مختلفة على القوى
العسكرية والاقتصادية النسبية، وتتصارع على السيطرة على
المؤسسات الدولية، وكل هذه الأطراف تتنافس على ترويج قيمها
(الدينية والسياسية الخاصة) ... ا.هـ.

(١) صدام الحضارات ص (٢٣) مرجع سابق.

إن الصراع متعدد الأبعاد والأنواع، وتستعمل فيه أكثر من وسيلة مؤثرة..

يسجل د. سامي الدلال ملاحظة، حيث (اختزل بعض المفكرين المسلمين أسباب الصراع في المعتقدات فقط) دون النظر للمصالح، وينقل عن د. جعفر شيخ إدريس: أن الصراع بين الحضارات إنما هو في جوهره صراع بين معتقدات، لا بين طبقات ولا عرقيات^(١) ... أ.هـ.

من النادر اليوم أن يكون الصراع فردياً في دافعه، ففي الصراع وخصوصاً الحضاري يتم حشد أكثر من عامل يحقق كل طرف النصر في أسرع وقت، كذلك نلاحظ اشتعال الصراع بين أبناء العقيدة الواحدة وأتباعها، بل المذهب الواحد؛ لذا فالجزم بأن خلف الصراع عاملاً واحداً يبدو صعب القبول...

العالم مهدد بصراعات كثيرة

د. نعوم تشومسكي الذي يوصف عادة بالمعارض المزعج يقرع الطبول، وينادي بأن العالم يواجه صراعات وحروباً غير متناهية وجلّها سببه نظام الدولة القومية الذي جعل من

(١) الإسلام لعصرنا إصدار المنتدى الإسلامي ص (١٣٤) الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

أوروبا الأكثر (همجية ووحشية ودموية)^(١)، وأن العالم مهدد (بالنزوال)، فإما أن يكون هناك عالم بلا حروب أو لا يكون عالم إطلاقاً، أو عالم خاص بالبكتريا والخنافس، فالبشر طوروا وسائل تدميرهم بأنفسهم، وهم على وشك أن يستخدموها من قبل نصف قرن، علاوة على ذلك فإن قادة (العالم المتحضر) مستعدون الآن لتعزيز هذه الأخطار وبوعي كامل لما يفعلون، فإن كانوا يقرؤون (تقارير استخباراتهم) والمحللين - بمن فيهم أولئك الذين يفضلون السباق نحو الدمار -، فإن من هم أكثر تشاؤماً يرون أن الخطط قد تم تطويرها وتنفيذها على نحو يتوافق مع إطار (الفكر المسيطر) والقيم التي تجعل (النجاة) تمثل مكاناً متأخراً في سلم الأولويات التي تتربع على (قمة الهيمنة) كما يصرحون علناً... هناك اليوم حروب على (الماء والطاقة) أما المصادر الأخرى فليست بعيدة الاحتمال في المستقبل، وفق نتائج قد تكون (مدمرة) في التحليل الواقعي؛ لذا يمكن القول: إن الحروب لها علاقة بتطبيق نظام (الدولة القومية) أي تلك البنية الاجتماعية غير الطبيعية التي يمكن إحداثها عن طريق (العنف)، وهذا هو السبب الذي جعل (أوروبا الأكثر همجية ووحشية) من بين أمم العالم (قروناً عدة)، فعندما كانت تسيطر على العالم فقد جرت محاولات

(١) مرافعات ضد مجموعة الدول الثماني، مجموعة من الكتاب ص (٥٠)

أوروبية لفرض نظام (الدولة القومية) في المناطق التي جرت السيطرة عليها، وهي (مصدر معظم الصراعات) التي تحدث الآن أي عقب انهيار النظام (الاستعماري الرسمي).

إن رياضة أوروبا المفضلة في (المذابح المتبادلة) انتهت عام ١٩٤٥م عندما أدركت الحقيقة التي تقول: إن المرة القادمة التي ستمارس فيها (اللعبة) ستكون الأخيرة، تنبؤ آخر يمكن أن (نقوم به بثقة عالية) هو: لن تكون هناك (حروب بين القوى الكبرى)، والسبب يعود إلى أنه إذا كان التنبؤ خاطئاً فإنه لن يبقى أحد (يهتم بأخبارنا).. علاوة على ذلك فإن الأنشطة العامة التي تحدث داخل المجتمعات القوية والغنية كان لها تأثير عليها، إذ لم يعد بإمكان المرجفين والمحركين القيام (بغزو) أو اعتداء طويل المدى - مثل لما كانوا يفعلونه سابقاً - عندما هاجمت أمريكا جنوب فيتنام محولة إياها إلى (دمار) قبل أن تتطور المظاهرات الشعبية لوقف الحرب... أ.هـ.

إن إشعال الحروب وتدمير الدول ليس بالأمر الصعب مع توافر آلة الحرب المدمرة، لكن الأصعب والأهم هو كيف يتفق الأقوياء على ترك الحرب وإدارة (الصراع) بشكل سلمي؟

إن د. نعوم نذر نفسه لدق ناقوس الخطر، وهو يهاجم أمريكا وإسرائيل، ويعتقد أنهما يشكلان خطراً على (سلم العالم).